The Quarterly Journal of Lisān-i mubīn
(*Research in Arabic language and literature*)
Print ISSN: 2355-8002
Online ISSN: 2676-3516

Psycho Analysis in the novel My first love by Sahar Khalifa - based on the opposing and conflicting dualities of Levi Strauss

Isa Zare Dorniani[*1]

[1*]*Assistant Professor, Arabic Language and Literature, Payamnoor,Iran.*

Article Info

Article type:
Research Article

Received:
12/12/2020
Accepted:
24/04/2021

ABSTRACT

The novel forms important aspects of psychological activities, especially the novel "My First Love" by the magic of Khalifa, which is rich with its artistic productions, which is rich in creations that embody and highlight the complex psychological states of the creator and recipient. The analysis tries to find in the narratives that are not counted some basic trends and some major structures, so it resorts to psychology, where it finds its desired approach. Through these trends, we see Levi Strauss' psychological direction oppositely, and the use of contradiction, conflict, and contrasting system reveal some of what is wandering mindfully, inspiring with a heart, and circulating between mind and emotion in the novel. From this standpoint, this study refers to the psychoanalytic trend that emanates from the contradictory and conflicting dualism theory of Levi Strauss in the novel "My First Love" within the descriptive and analytical approach through a study of the novel models. The study showed that all aspects of life in the novel My First Love are the result of the tension between the poles of this duality, and this duality is the way of life of the Palestinian community at that time and what affects their daily life and extends to all their psychological attitudes and their social organization, and the opposing dichotomies and major movements in the history of the people. Some moments fill the story, while the goal of these dichotomies is to complement each other

Keywords: Psycho-Analysis, Levi Strauss Theory, Sahar Khalifeh, The Narration of the My First Love

Cite this article: Zaredorniani,Isa, (2022) *Psycho Analysis in the novel My first love by Sahar Khalifa - based on the opposing and conflicting dualities of Levi Strauss*,: *Vol. 13, New Series, No.47, Spring 2022*: pages45-62. DOI: 10.30479/lm.2021.14719.3165

© The Author(s).
Publisher: Imam Khomeini International University

***Corresponding Author**: Isa Zaredorniani
Address: *Assistant Professor, Arabic Language and Literature, Payamnoor,Iran.*
E-mail: zare.dornian@pnu.ac.ir

فصليّة لسان مبين العلمية
(بحوث في اللغة العربية و آدابها)
الترقيم الدولي الموحد للطباعه : ۸۰۰۲-۲۳۵۵
الترقيم الدولي الالكترونيكي: ۲٦٧٦-۳٥۱٦

التحليل النفساني في رواية حبّي الاوّل لسحر خليفة على أساس الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس •

عيسى زارع درنياني*[1]
[1]*أستاذ مساعد، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة بيام نور، إيران

معلومات المقالة

نوع المادة:
مقاله محكمة

تاريخ الوصول:
۱۳۹۹/۰۹/۲۲
تاريخ القبول:
۱۴۰۰/۰۵/۰۲

الملخّص

تشكّل الرواية جوانب مهمّة من النشاطات النفسية، لاسيما رواية «حبّي الاوّل»لسحرخليفة، الثرية بنتاجاتها الفنية، التي تزخر بالإبداعات التي تجسد وتبرز الحالات النفسية المتشعبة لشخصية المبدع والمتلقي. يحاول التحليل أن يجد في الروايات التي لاحصر لها بعض الاتجاهات الأساسية، فيلجأ إلى علم النفس حيث يجد ضالته المنشودة. من خلال هذه الاتجاهات، نرى الإتجاه النفساني عند ليفي شتراوس بطريقة معاكسة واستخدام التضاد والنزاع، والنظام التقابلي، يكشف عن بعض ما يلهم بقلب، ويدور بين العقل والعاطفة في الرواية. ومن هذا المنطلق، هذه الدراسة تشير إلى الإتجاه النفساني المنبثق من نظرية الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس في رواية «حبي الأوّل» سحر خليفة ضمن المنهج الوصفي – التحليلي من خلال دراسة نماذج الرواية. وقد بينت الدراسة، أن مظاهر الحياة كلّها في رواية حبّي الأوّل نتيجة التجاذب بين قطبي هذه الثنائية التي تصدر عن الوعي المطلق، والنهائي والنفساني. والمفاهيم الثنائية تشكل جزءا من طبيعة الشخصيات في الرواية، ونمط الحياة في المجتمع الفلسطيني آنذاك وما تؤثر في حياتهم اليومية وتمتد إلى جميع مواقفهم النفسية وتنظيمهم الاجتماعي، والثنائيات المتضادة، (امرأة اليوم وامرأة الأمس، والمقاتلون و السياسيون، وخونة وموالون، وشرق وغرب، وفلسطين وإسرائيل) والثنائيات المتنازعة (الحب والثورة، والذات والمتخيل، والموت والحياة) تنقل أحداثاً كبرى في تاريخ الشعب الفلسطيني، وتملأ بعض لحظات الرواية، وفي حين أنّ هدف هذه الثنائيات هو التكامل بينهما.

كلمات مفتاحية: التحليل النفساني، نظرية ليفي شتراوس، سحر خليفة، رواية «حبّي الأوّل».

الاقتباس: زارع درنياني، عيسى.(۱۴۰۱). التحليل النفساني في رواية حبّي الاوّل لسحر خليفة على أساس الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس ، مقاله محكمة، السنة الثالثة، الدورة الجديدة، العدد السابع والأربعون ، ربيع۱٤۰۱:٦۲-٤٥.

المعرف الرقمي: 10.30479/lm.2021.14719.3165
الناشر: جامعة الإمام الخميني العالمية
حقوق التأليف والنشر © المؤلفون.

* – عنوان البريد الإلكتروني(للكاتب المسؤول): *zare.dornian@pnu.ac.ir*

١- المقدمة

تُعدّ الرواية جنساً أدبياً كباقي الأجناس الأدبية، ولها مكانة عالية بين أشكال التعبير المختلفة، فازداد عدد كتابها على تباين اتجاهاتهم الإيديولوجية والفكرية. وقد تناولها الروائي بنقل الأحداث من عالم الحقيقة الواقعي إلى العالم الخيالي(الروائي) الفني.

فعلم النفس منظومة علمية قائمة بذاتها تسعى لدراسة الوظائف النفسية في صورة تتوافق مع الحياة النفسية السوية والصحية، في حين أن التحليل النفسي هو نظرية تفرعت من علم النفس: «إن التحليل النفسي على الأقل نظرية عن التطور وعن العصاب، وهو طريقة علاج ونظرية عن الثقافة وعن دور الجنس مخزنا لوسائل تفسير الخيال الإنساني وربما للعلاقات بين الأفراد ونظرة فلسفية للدين». (فيصل، ١٩٩١م: ٦)

يُعدّ التحليل النفساني أحد الأساليب الجديدة للنقد الأدبي ويمكن استخدامه لفحص الروايات بطرق مختلفة، ومن بين هذه الطرق، طريقة ليفي شتراوس (عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي)، التي تعتبر نظاماً تقابلياً ينتمي إلى الظواهر الثقافية. وتشير إلى أنّ فهم العديد من المفاهيم تبني على فهم العكس (حسيني ومحمدزاده، ١٣٨٥ش: ٤٤)

رواية «حبي الأوّل» لسحر خليفة، رواية تاريخية، بأحـداث واقعية، تحاول من خلالهـا الكاتبـة تصويـر حقبة هامة في فلسطين، مع إبراز الألم والوجع الذي يعيشه وطن مهزوم ومأزوم وهي رواية متعددة الشخصيات فيها ربط الماضي بالحاضر في حبكة نفسانية ودرامية تعيش اللحظة بعيون السنوات الصعبة وتاريخ دموي مأساوي وتقوم بين الأفراد، علاقة تضادية ونزاعية في النظام التقابلي، و تتضمن مضموناً نفسياً.

لقد اخترنا رواية «حبي الأوّل» لمؤلفها سحرخليفة، لاشتمالها خصائص الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند نظرية ليفي شتراوس، وقد تنطلق طريقته من طرائق التحليل للسرد الروائي، ويستخدم التباينات المزدوجة في تصنيف الموضوعات.

طريقة ليفي شتراوس للتحليل الرواية- الثنائيات المتضادة والمتنازعة- متميزة، وهذه جعلتنا نبحث عن هذا الموضوع، ونجيب عن هذه الأسئلة:

-كيف يرتبط النقد النفساني بنظرية الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس في تحليل رواية «حبي الأوّل»؟

-كيف تأثرت سحر خليفة في روايتها «حبّي الأوّل» بنظرية الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس؟

- ما هي المفاهيم المنعكسة في هذه الرواية من نظرية الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس؟

١-١.خلفية البحث

من خلال دراستنا، عثرنا على دراسات وبحوث عدة كانت سنداً مرجعياً استطعنا من خلالها تكوين رؤية الهدف، منها:

-مقالة «ليفي شتراوس الأسطورة والمعني: الشفاة الأرنبية وتوائم»، عصام اللباد (١٩٨٨م)، مجلة الإنسان والتطور، تناول الكاتب فيها تعدد الذوات وانشقاق على ضوء نظرية ليفي شتراوس، ولم يعالج روايات سحر خليفة.

-مقالة «النضال الوطني للمرأة في رواية سحر خليفة»، وائل على الصمادي (٢٠١٢م)، مجلة الأفكار، :تظهر فيها مجموعة من القضايا التي تتعلق بالمرأة قدمتها الكاتبة في سبيل تحرير الوطن، وهذه مختلفة عن موضوعنا هذا.

-مقالة «دوگانگی وتقابل در رمانهای سحر خلیفه»، على باقر طاهري نيا و روح الله مهديان (١٣٩٢ش)، مجلة ادبيات پايداري: تناول الكاتب فيها التقابل والتناقض في رواية سحرخليفة مثل الثري والفقير، والمرأة والرجل، وفلسطين إسرائيل و... أمّا اكثر ما قد عالجه الكاتب في غير روايتنا هذه (حبّي الأوّل).

- مقالة «نمادگرايی در دو رمان جزيره سرگردانی وحبّی الأوّل»، زهره رنجبرپور(١٣٩٥ش)، مجله مطالعات ادبيات تطبيقي، أشارت الكاتبة إلى بعض رموز مشتركة في روايتين على أساس منهج المقارنة، ولم تستخدم نظرية ليفي شتراوس لذلك تختلف عن مقالتنا هذه. أمّا ظل موضوعنا هذا، غائبا في الدراسات النقدية الحديثة، حيثما يستحقه من الدراسة والعناية والتمحيص.

٢- الإطار النظري للبحث

قد ينطلق التجديد التربوي في تحليل النصوص من طرائق التحليل للسرد القصصي عامة، ومما كتبه رولان بارت في هذا الصدد خاصة فأكد: «إن قصص العالم لاحصرله، فهو تنوّع عجيب من الأنواع التي تقسم بدورها إلى مواد مختلفة، كلّ مادة تصلح لاستيعاب قصص البشر، فالقصص ينقله الكلام الشفهي أو الكتابي، والصورة الجامدة أو المتحركة، قد تنقله كلّ هذه الموادّ مجتمعة ومنظمة، والقصص ماثلة في الأسطورة والملهاة والتمثيلية الإيمائية واللوحة المرسومة، والرسوم المتحركة وأخبار الصحف المتفرقة وزد على ذلك». إن القصص ماثلة في كلّ زمان وفي كلّ مكان وفي كلّ مجتمع، ولانجد شعباً في أي مكان لاقصص لديه. يتساءل رولان بارت عن كيفية دراسة ملايين القصص بطريقة الاستنتاج (إبراهيم، ٢٠٠٥م: ٣٢٠)، وكذلك يقول: «إننا بحاجة إلى نظرية كي نصف و نبوّب مجموع القصص غير المحدود» (بارت، ٢٠٠٢م: ١٦٥)، إلّا أنّ رولان بارت يستخدم المصطلحات بطريقة مجازية تماماً فتحدث عن لغة السرد القصصي وعن ألسنة السرد القصصي. لقد طبعت تعاليم رولان بارت جيلاً كاملاً من النقاد والباحثين ليتوسعوا في تحليل النصوص، نذكر بينهم كلود ليفي اشتراوس[١] الذي تحدّث عن الثنائيات المتضادة والمتنازعة.

الاتجاه النفساني عند ليفي شتراوس كان على أساس سياق الجدل ما بين العقلانية والتجربية وأنّ الخيال لديه كثيراً ما يعمل بطريقة معاكسة، واستخدم أداة تخدم نوعاً آخر من التضاد و النزاع و فيهما يقابل المحتوي بالمحتوي والشيء الثقافي بالشيء الطبيعي ويدعو التضاد والنزاع بالانقلاب المتناظر، واعتقد بنظام تقابلي يتشكل من فردين وكلّ منهما متميز من حيث أنّه يتفوق في الجانب الذي يفتقر إليه الآخر و يفترض أنّ التحويرات التي يمكن للراوي أن يجريها ليست تحويرات عشوائية لما سمع بل تميل على العكس من ذلك إلى أن تتشكل من إزاحات تناسبية والثنائيات المتضادّة والمتنازعة. (ستروك، ١٩٩٠م: ٢٥)

إن بعض علماء النفس (ومن بينهم أدلير و بيارجانيت و آريك فروم و كارل روجيز) يعترفون اليوم بأن علاقة الفرد بالعالم هي علاقة ثنائية، إمّا أن تقوم بين الأفراد علاقة عراك وتهديم وإمّا أن تقوم بينهم علاقة تضامن وإنتاج. وثمة قانون أساسي يتلخّص في كون الفرد الذي لا يحقق ميله الطبيعي إلى الاتحاد بالفرد الآخر وبالعالم- في إطار الصداقة والحبّ أو أي عمل خلّاق- يشعر بتحوّل هذا الميل إلى تصرّف عراكي هدّام. و إنّ التحليل النفساني لا يستطيع أن يحدّد و يحصي ويبوّب ويفسّر إلّا بالنسبة إلى مراحل التشويق العاطفي- القيم الوجدانية (مصدر النزاعات)- الانفعالات الوجدانية. (ميشال شريم، ١٩٨٧م: ١١)

هكذا ينتج عن التحليل النفساني، الثنائيات المختلفة، منها المتضادّة والمتنازعة. وها نحن بصدد التحليل البنياني النفساني الجديد بفضل الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس في رواية « حبّي الأوّل» لسحر خليفة.

٢-١.مراحل التحليل النفساني

المبدأ الأساسي في التحليل النفساني للرواية هو أن نستخرج الخطوط العريضة للرواية كمحطة مهمة في التحليل النفساني يعني عملية خلاصة الرواية التي تعبرّ عن الفكرة، ثمّ يتناول التحليل النفساني (في رواية حبّي الأوّل)، الثنائيات كآلية من الآليات الإجرائية لمقاربة نصوص الرواية، ويتمثل في سعيه إلى الوحدات الثنائية والعمل على رصدها ثم تصفيتها راسخة في نفسية الأشخاص في الرواية (عبدالمطلب، ٢٠٢٠م: ١٤٩) فإننا نجد أنفسنا إزاء الثنائيات المتضادة والمتنازعة في رواية «حبّي الأوّل» لسحر خليفة[٢] لذلك حاولنا أن نحللها على أساس تحليل ليفي شتراوس من أشهر التحليلات التي قائمة على الوحدات الثنائية في النقد المعاصر.

٢-٢.خلاصة رواية «حبّي الأوّل»

رواية «حبّي الأوّل» هي حكاية حب مبرح يتجسد في عدة وجوه: وجه يتراءى في قصة عشق طفولي تبرعم في مرحلة الصبا وربيع العمر وعاد لينبثق ويتجدد مع ذبول الخريف، ووجه وطني يتنافس فيه العشاق على الفداء والبطولة واختراق المحال.

تبدأ الرواية بعودة نضال الشخصية الرئيسية لدار العيلة في نابلس، لإصلاح ما تصدع وأكلته السنون، فبعد خمسين سنة تقريباً، عادت نضال كي تحافظ على زمن مضى وهي تأتي بعد هذه السنين، وبعد الصخب والأضواء التي لاحقتها وهي الفنانة الرسامة، لتجعل بيتها الأول هو الأخير، وتحوله إلى متحف أو معرض. ينفتح النص الروائي في البداية على عالم ساكن خامل، نقطة التحول كانت برجوع ربيع، حبها الأول، ربيع حبيب نضال شخصيّة ترك والده وعاش مع جدته ثم التحق بالثورة كتفاً على كتف خالها وحيد وقد مثّل ربيع شريحة الشباب الثوري الذي آمن بالعمل الثوري ومقاومة المحتل ولكنه أصيب بخيبة الأمل من الزعماء والقادة والوجهاء وخياناتهم التي أدّت إلى فشل الثورات وضياع البلاد وتشتت الشعب وكان قد التحق بمقر قيادة الثورة عند الحسيني بقرية بيرزيت، وظل معه حتى استشهاده في القسطل. والحسيني(عبدالقادر) قائد منطقة القدس وشهيد فلسطين الذي سقط في القسطل يوم ٧ نيسان عام ١٩٤٨. وقد لعب دورا مركزيا في مواجهة الإنكليز والقوات إليهودية، ومثّل النموذج الأسمى للرجل القائد المخلص المتفاني في سبيل شعبه ووطنه. فعندما وصل عبد القادر الحسيني ورفاقه لمقابلة القائد العام في دمشق ليشرح له ولباقي الزعماء الحالة التي عليها الوضع في فلسطين ، والزعماء والوجهاء يقضون وقتهم في مقاهي دمشق وحتى في اجتماعهم مع عبد القادر لسماع تصوّره عن الواقع الراهن، وطلبه منهم الإسراع في تقديم السلاح للمقاتلين في أسرع وقت وإلا ضاعت الفرص وضاعت البلاد، لم يهتموا لما يسمعونه وأخذوا يضيّعون الوقت في جَدل عقيم وحوار بعيد عن الهدف مما أغضب عبد القادر الحسيني وجعله ينسحب من اللقاء.

٣.الاطار التطبيقى للبحث

تعدّ الثنائيات مرتكزاً أساسياً وقد تناولها النقد المعاصر بالارتكاز على دراسات كلود ليفي شتراوس حول الروايات التي تتمثل بالثنائيات المتضادة والمتنازعة.

٣-١.الثنائيات المتضادة

الثنائيات المتضادة ظاهرة فلسفية انتقلت إلى النقد وطبقت على الأدب . وهي انعكاس لمظاهر الكون وتعبير عن النفس المتقّلبة وصراعها في هذا الوجود. الثنائيات تتكرر في جسد النص، تكتسب فاعليتها عبر انحلالها الذي يكشف عن نفسية الكاتب ومدي تأثره بالبيئة التي تُعدّ منبع التضاد تعكس بصدق تصورات الراوي وموافقه تجاه الوجود، وهي متأصلة في النفس البشرية، ومتصلة أشدّ الاتصال بها، وتظهر الجمال وتثير النفس وتحر كها وتؤثّر فيها وحظيت ظاهرة الثنائيات المتضادة باهتمام الناقدين والباحثين مثل ليفي شتراوس في العصر المعاصر. (الديوب، ٢٠١٢م: ٩٩) وقد اشتملت رواية «حبّي الأوّل» على مجموعة كبيرة من الثنائيات المتضادة، ومن أبرزها:

٣-١-١.امرأة اليوم وامرأة الأمس

عند حديثنا عن المرأة بين الماضي والحاضر، فإننا نتوجه إلى تغير لما نسميه «مجتمع» فكما نعرف أن المرأة هي أساس وعماد المجتمع، هذا شيء لايمكن التغاضي عنه. لكن قديما كانت النسوة محتقرات وكانت النظرة لهن نظرة (عار) وكأنها خلقت لتلبي حاجيات الزوج فقط. فالمرأة في القدم كانت مقيدة الحرية من جميع النواحي. وبعد الجهد الكبير التي قامت به النساء،من مظاهرات وتحديات مع المجتمع، لتظهر كيانها، تحققت بعض متطلباتهن . تتناول رواية حبّي الأول لسحر خليفة، الثنائية الضدية بين امرأة اليوم وامرأة الأمس بحيث تقول: «كانت المرأة في الأربعين تبدو عجوزاً. نساء الأربعين في ذاك الزمن يعني المرأة في الأربعين كامرأة الأمس تصبح جدة، حجة وحماة، وختيارة"(الخليفة، ٢٠١٠م: ١٠) .فكرة نضال لأمها وداد يختلف عن فكرة الجدة التي تراها ذات حظ ناقص فوداد بنظر ابنتها المهجورة المنسية، وزواج أبي من يهودية، ، وهروب أمي إلى المستشفى حتى تنسى ما حل بها. لكن أمي لاتبدو بحظ ناقص لأني أراها، كما تبدو، سعيدة بعملها ومشغولة (السابق: ١٤) بل إن وداد كأمرأة إليوم أصبحت في فترة لاحقة من حياتها تناضل بطريقتها، تجمع المعونات، ترافق الجمعيات وفرق الإسعاف. وفي مذكراته يقول أمين عنها: «لكنها ناضلت باجتهاد حتى تخرج من محنتها وتتفوق على ظروفها وأزمتها. وجدت لنفسها طريقا نجحت فيه وآمنت به».(السابق: ٣٣٦) إصرار الروائية على استحضار هذه النماذج الإيجابية لنساء فلسطينيات يتحرك في إطار واقعي من خلال معايشة هذه النماذج.

في هذه الزمن، ترقي مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية، وتثير نفسها وتحرّكها، وتؤثرفيها. يمكن القول إن المرأة سعت إلى تحقيق متطلباتها و كافحت ثم ناضلت إلى ان وصلت إلى ماهي عليه الآن، والآن لازالت كما كانت عليه بالنسبة لأسرتها وبيتها، إضافة إلى أن المجتمع أصبح يستفيد من أفكارها وقدرتها التي كانت مدفونة في القدم.

٣-١-٢.المقاتلون والسياسيون

تبرز ثنائية المقاتلين والسياسين في رواية «حبّي الأول» لسحر خليفة، المقاتلون هم الذين أعطوا حياتهم وباعوا الدنيا ومن فيها، وقاوموا ودافعوا عن الوطن. والسياسيون هم الذين تركوا مواقعهم في القدس ولجأوا للشام، فقد عمدوا إلى السخرية ومعتمدين على جيش الإنقاذ، أبوكمال يقول: «وحسنا تريد من خالي يأخذ موقع القائد أبو كمال ويعيد تجميع الرجال». (السابق: ١٠٧) هوالذي واجه آلاف الجنود المدججين بأحدث سلاح، في وقت لم يكن لديه سوى بضعة رجال بمسدسات قديمة وخناجر. وكذلك من المقاتلين الآخرين الذين تقول نضال عنهم: «بالنسبة لي كان

خالي الكبير رمز الثورة، وخالي أمين رمز الأفكار والتحرر وأجواء القدس، والولد ربيع هو امتداد للاثنين، وربيع مثله، وامتداد له يعني شاطر، يعني بطل مثل خالي، يعني مجاهد». (السابق: ٧١) وأمّا السياسيون فهم الذين كانوا السبب في قتل المقاتلين، نحو: الحسيني في هزيمة القسطل التي سبقت المعركة الكبرى كما وعدوا الإنجليز بعدم تسليح الفلسطينيين ولم يعترفوا بجهاد المقدس كما تقول الكاتبة: «ملتزمون بعهد قطعوه لبريطانيا بألا يعطونا سلاحا ولا ذخائر، وألا يدربونا على حمل السلاح، وألا يعترفوا بالجهاد المقدس وقائدنا». (السابق:٢٩٧) تطلعنا الكاتبة على نحو تفصيلي بخطة الحسيني بدءاً من تصميمه على حصار المستعمرات، انتهاء بإصراره على الحصول على أسلحة كانت مخازن العرب مليئة بها، إلا أن القادة العرب وممثلي الجامعة العربية أصروا على حجبها.

تحاول الرواية أن تضع يدها على أسباب الانكسارات المتتالية التي أصابت الثورة بدأت بداية قوية، وكانت مصدر اعتزاز كل الأمة ثم انهارت. كما وردت في الرواية: « أن الثورة كانت تحتضر، فوضى ودمار ومشانق، ذهب إلى الشام ليستنجد بالإخوة العرب فماذا وجد؟ فعاد مخذولاً مهموماً مكسور الفؤاد والخاطر...». (السابق: ٢٠٣) وهم لا يثقون بالحسيني كنموذج اجتماعي أرعن، وهو في موقع الخصم لبريطانيا، المستعمرة الودودة.

نحن نواجه في الرواية، ثنائية الضدية بين المقاتلين والسياسيين. حملت الكاتبة صورة المقاتلين الذين يدافعون عن الوطن، ويفدون أنفسهم للوطن صورة تفائلية، وتبرز صورة الزعامة الذين أضاعوا القضية وتمادوا ببيع حقوق الشعب والوطن في سبيل الحصول على مناصبهم، صورة سلبية، ونستنج بأن هذه الزعامات كانت من أهمّ عوامل التواطؤ مع الانتداب وضياع الوطن. و هذه القضايا أثرت في نفسية الكاتبة وفي كلّ ما يدور في خواطرها الاليمة.

٣-١-٣.خونة وموالون

تظهر في رواية حبّي الأول لسحر خليفة، ثنائية الضدية- خونة وموالون- . الخونة هم الذين يتعاونون مع قوات الاحتلال ويبيعون بلدهم وأمتهم بسعر زهيد. كما تصفها الكاتبة: «سيسجل التاريخ أنكم السبب في ضياع القدس وبقية فلسطين. أنتم المسؤولون عما سيحل بنا وبكم. أنتم متآمرون مع بريطانيا. أنا سأموت ولن أستسلم. سأحتل القسطل بلحمي ودمي ولحم رجالي ولن استسلم، وسيسجل التاريخ ما فعلتم. أنتم متآمرون. أنتم خونة». (السابق: ٧٨) والموالون هم الذين يعيشون في أنحاء فلسطين ولهم روح التحدّي والصمود، وما يحملون من العقائد والأفكار المعجبة ويقفون في وجه الظلم والاحتلال؛ إذ يزرع في نفوسهم، بذر الأمل إلى المستقبل ويحثهم على النضال والصمود، هذا ما يترك أثراً هاماً في نفوسهم في استمرار الحركة النضالية كما كما تصف الكاتبة أحد من الموالين- عبدالقادر الحسيني-: «أنه كان لنا في يوم ما رجال شرفاء، أحببناهم وأحبونا وعاشوا معنا حتى الموت». (السابق: ٨٠)

هنـــاك صلـــة وثيقة بين هذه ثنائية والاغتراب الإخواني: «هو أنّ الإنسان قد عاشَرَ أناساً كثيرين، وانعقدت بينه وبينهم صداقات وسيعة، إلاّ أنّه سرعان ما يفقد هذه الصداقات». (جمشيدي والآخرون، ١٣٩٦ ش: ٨٤؛ أشكوري،٢٠١٥م: ٥٥٢) . نرى نموذجه في رواية حبّي الأوّل: «لكن في يوم غدر بهم مختار إحدي القري وأعد لهم كمينا بالاتفاق مع الإنجليز دعاهم للغذاء وبلغ عنهم. وحين حضرالغذاء وجسه القائد فوجده بارداً ففهم اللعبة وأمر رجاله بالانسحاب...». (الخليفة، ٢٠١٠م: ٩٣)، يفقد المختار الصداقة وخان على إخوانه ووطنه ويغترب. وموالون انعقدت بينهم وبين وطنهم الصداقة مثل الحسيني، الربيع، النضال، الوحيد و... الذين كانوا رموز الأحرار. (رنجبرپور، ١٣٩٥: ٩١)

ظهر النضال الوطني في هذه الرواية وشغلت حيزاً كبيراً واسعاً وتعالجه من خلال شخصيات مختلفة وتحاول الكاتبة رصد شخصيات الخونة والموالى من خلال التعمق في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقدكانت الخونة في فلسطين شركاء في جميع جرائم الصهاينة وتغرس مخالبهم في وجوه أبناء الشعب الفلسطيني. والموالون هم الذين رفضوا الخنوع والذل ويزرع في قلوبهم حبّ الوطن الذي يحثّهم على النهوض والمقاومة، وفي الرواية، الموالون كلّهم أبطال وشجعان، ويحذون حذو الشرفاء والأحرار.

٣-١-٤.شرق وغرب

يحمل كل من الشرق والغرب وجهات نظر مختلفة في الثقافة والأدب. في خلال عهود الاستعمار، كانت الموضوعات المتعلقة بلقاء العالمين المختلفين تماماً، تأخذ شكل صدام بين ثقافتين، وهو ما عبرت عنه النصوص الأدبية. وكان الخطاب الأدبي الأوروبي، وكذلك الشرقي (العربي، حيث تشكل موضوع معركة الشرق مع الغرب)، في الواقع نتيجة للسياسات الغربية الاستعمارية. كوّن الشرق أنماطا معاكسة عن الحضارة الغربية. ويمكن القول إن للروايات مضموناً متماثلاً: فالبطل وقف وسط معركة الشرق ضد الغرب. (الصراريرة، ٢٠١٣م: ٧٨)

حظيت ثنائية الشرق والغرب ببريق لافت عند سحر خليفة في روايتها «حبّي الأول»، صورة الغرب لديها هي صورة مشوّهة وقائمة في ذاكرة العقل العربي، وتقابلها بصورة الشرق لم يعد يعتمد على الاختلاف الديني، بل وعلى الاختلاف السياسي كذلك، بحيث تبني الكيان الصهيوني للمشروع الغربي وتقديم الدعم العسكري والمالي والإعلامي له في احتلاله للأراضي الفلسطينية قد أسهم في إشعال نار الحرب، و رواية «حيي الأوّل» تسلط الضوء على هذا بحيث تقول الكاتبة : «يهود انجليز وانجليز يهود ويهود يهود وحكم انتداب يحابي اليهود، عينك عينك، يأخذ منا ويعطيه لهم ويقول حياد، يعطيه لبيض جاءوا من الغرب فاختلط الحابل بالنابل واختلط الأبيض بالأسمر...» (خليفة، ٢٠١٠م: ٨٦) إنّ الشخصية الغربية في الرواية لم توظف إلّا لتجسيد فكرة الهيمنة الاستعمارية للغرب الاستعماري على المنطقة الشرقية العربية، وقدمت لنا شخصيات ترفض الخضوع لسلطة، وجمعت الرواية من خلال الأحداث بين الأنا الشرقي بالآخر الغربي صوراً من مظاهر الاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب. بحيث تصفها الكاتبة: «يهجم اليهود من جهة الغرب ووقفنا حول القائد بجانب الشرق، وجاؤوا بجنود مدربين من اروبا على حرب المدن والشوارع، وقال لي ربيع، إحذر اليهود من جهة الغرب... ». (السابق: ٩٣) الغرب هو اليهود رمز الشرارة، والشرق هو ربيع مظهر المقاومة و رجل حرّ و نضال وقفت وسط معركة و تميل إلى جانب الشرق الذي وقف القائد الذي هو مظهر الأحرار (رنجبرپور، ١٣٩٥ش: ٩١).

حاولت سحر خليفة في هذه الرواية، صورة سلبية من علاقة الأنا الشرقي بالآخر الغربي المختلف عنه دينياً وثقافياً وسياسياً واجتماعياً وأظهرت ملامح النظرة الاستعلائية والفوقية الغربية على أساس الرغبة في التملك، وهذه قد أثرت على نفسية الكاتبة ونظرت إلى الغرب نظرة تشاؤمية.

٣-١-٥.فلسطين وإسرائيل

توجد الثنائية الضدية في روايات سحرخليفة كلّها، ويبدو بشكل ثنائية كبرى بين فلسطين وإسرائيل (طاهري نيا ومهديان، ١٣٩٢ش: ٢١) ونرى هذه الثنائية الضدية في رواية «حبّي الاوّل»، التي تشرح الاحتلال الصهيوني للأراضي

الفلسطينية، واستيلاء البريطاني فلسطين. ويبدو بدعم المالي والعسكري والسياسي بدأ إليهود يلتهمون الأراضي الفلسطينية، واشتدّت هجرتها كما تصف الكاتبة: «وانظر اليهود يأتيهم الدعم من الغربيين، وخسرنا الجزء الأعظم من فلسطين بقيام الدولة العبرية التي زرعها الغرب في قلب العالم العربي ليساهم في تفسخه» (خليفة، ٢٠١٠م: ٦٩)، ولذلك خلقت بطولة المناضليين الفلسطينيين مشاهد رائعة في هذه الفترة، ولم تعرفها قوات الاحتلال، والكاتبة تكشف الضوء عليها: «هؤلاء لايعرفون عن ماضينا، ولايعرفون عن الأبطال. هم يعيشون في زمن القحط وضياع المثل. لم يعيشوا زمن الحسيني وسعادة وأبو كمال» (السابق: ٥٤). نقع في النص على رؤية تنبؤية استشرافية بما سيكون عليه حال الصراع العربي الإسرائيلي؛ الأولى تنبثق من عالم الواقع يصنعها المثقف أمين حليف الثائرين على المتزعمين والصهاينة، إذ تشهد سطور كثيرة في قراءة التخبط الفلسطيني،خصوصاً أنه رافق الحسيني في المؤتمرات والاجتماعات التي أقيمت في الشام قبيل الهزيمة، وقام بتسجيلها وقرأ تداعيات نتائجها، فما كان عليه سوى رصد السياسة العربية التي تعد بالخراب الأكيد. وهكذا تكتب عنها الكاتبة لكي يتأثر القارئ بقول حسيني في الرواية: «هذه فلسطين العربية بين أيديكم، والشعب العربي يناديكم لأنكم الزعماء والقادة، ومصير الأمة بمختلف أقطارها أمانة في أعناقكم، وإني والله لن أتردد عن وضع عنقي تحت سيوفكم إذا ترددت أو تهاونت أو عصيت أمراً من أوامركم. أنا جندي من جنودكم ولا مأرب شخصياً لي إلا تخليص الوطن وتحرير القدس. القدس الجريحة تهيب بكم، أنقذوها، أنقذونا، فننقذكم». (السابق:٧٣) و في المقابل نقع في هذا العمل على رؤيا حلمية يمثلها وحيد بخطاب تبشيري عربي يدفن الصهيونية في الرمال، ويبني فوق أنقاضها نصراً عربياً متخيلاً، إذ برزت في تلك الفترة فكرة إغماض العينين أمام الظلام العارض في انتظار تحقق الفكرة المطلقة الأكيدة (دراج، ٢٠٠٢م: ٢٧)، لكنه يبقى صوتاً عربياً شريفاً لم يشأ أن يفكر بغير النصر، فوحيد يعتقد: «اليهود جبناء ورعاديد بعكسنا نحن. اليهودي لا يفارق مصفحته، أما القروي فيهجم على الموت ولا يخاف إلا من الله». (الخليفة، ٢٠١٠م: ٢٧) يبدو لنا وحيد كبطل في الرواية و يستند إلى امنياته وايمانه.

سحر خليفة كفلسطينية تجد نفسها في مواجهة مستمرة مع العدو الإسرائيلي لكن لسببين رئيسيين، فانّها لا تحقق النتيجة المطلوبة، أحدهما عدم وجود حكومة وطنية تحمي مصالح الفلسطينيين، والآخر هو الفقر الثقافي وسذاجة الشعب وبعض القادة العرب والفلسطينيين.

٣-٢. الثنائيات المتنازعة

تسود العلاقات البشرية على مستوى الأفرادالجماعات والأوطان حالة من النزاع الدائم وقد نستطيع القول إن انعدام النزاع أمر غير طبيعي ولايمكن أن يستمرّ طويلاً و قد ينعتنا البعض بالمتشائمين إلا أنّ هذا ليس بالتشاؤم بل هو تحذير من موقف متفائل ساذج تنتظره المفاجآت غير السارّة ولقد درس فرويد هذه الظاهرة الإنسانية وتوصّل إلى ما سمّي «بغريزة الموت» التي توازي الحاجة الجنسية في سيطرها على الإنسان ثم الإنسان يتذوّق تلقائياً مشاهد العراك، والثورة، والقمع، و التضحية، وما ينتج عنها من الرواية. (ميشال شريم، ١٩٨٧م: ١٨)

ونحن نتساؤل كيف يتمحور هذا النزاع فلا نجد جواباً على ذلك إلّا عند ليفي شتراوس الذي تحدّث عن: «الثنائيات المتنازعة » للسرد الروائي. وقدشهدنا في رواية «حبّي الاوّل» نوعاً من التقارب بين قطبي الثنائية المتنازعة وامتلاكهما نفس الحصة من وعي الشخصية بسبب تواجدهما جنباً إلى جنب في منطقة الشعور مع إمكانية تحقق أحدهما على

حساب الأخر، وفي النهاية يشكل كلّ منهما قطبي الحياة بحيويتها واستمرارها. ومن أبرز الثنائيات المتنازعة في الرواية:

٣-٢-١.الحب والثورة

من الثنائيات المتنازعة التي سجلت حضوراً في رواية «حبّي الأوّل» ثنائية الحب والثورة وصادف حبّ الثورة في الرواية، وهذا عائد إلى خصوصية الفترة التي كانت مداراً للسرد. الحب والثورة في الرواية كأنهما وجهان لعملة واحدة، وفي معرض المقارنة بينهما، نرى في الرواية، نضال وقد انحازت للحب قبل انهيار الثورة، إذ ترى أن الحب جمال ودفء وقدرة على الأحلام، بينما ينحاز ربيع للثورة، وهي ما ترى فيها نضال سبباً لإقصاء الناس عن بعضهم، بما فيهم الزعماء. لكن بسقوط الثورة تنهار صورة ربيع كما تنهار دنيا نضال كما تصف الكاتبة: «كنت أحس أن دنياي قد انهارت لأني أضعت الاثنين معا، خالي وربيع. وربيع آنذاك، وأنا أراه ولداً صغيراً مهزوماً ما عاد قريباً من قلبي».(خليفة، ٢٠١٠م: ١٠٣) تفسير ذلك أن الثورة بجمالياتها كانت خيالاً، يتماشى مع فكرة الحب بما يحمله من شفافية. ونضال أقرب إلى عالم الخيال منها إلى الواقع، أو هي فنانة تنحاز لعالم الخيال، وبالتالي انكسر الحب في قلبها بانكسار الثورة. (رزان محمود ، ٢٠١٢م: ١٠٦) ولعل تساؤلها عن سر ما تحس به تجاه ربيع: «أم لأنه أنزلني إلى الواقع، وجعلني أرى أن خالي ومجموعته وأجواءه، وكل القصص والتضحيات والبطولات وأمانينا، ومن عشنا السنين المظلمة على نورهم صاروا عجزة؟». (الخليفة، ٢٠١٠م: ١٠٤) ونحن نطالع ما تحس به نضال. هي لن تنسى ربيع أبداً، ولن تكون سعيدة بدونه، فهو: «حب الصبا وربيع القلب وحلم التغيير، صورة لبطولة ما اكتملت، لكن الوقت لا يمحوها، ولا ذاكرتي، ولا عشب نبت على الجدران » (السابق: ١١٠) ربيع سيظل معها طوال حياتها، فهو الخلفية للوحاتها، وهو المخزون لنبضات قلبها.

تطرقت الكاتبة ثنائية الحب والثورة، وجسد مفهومهما لأجل الوطن ولأجل من يحب من خلال الشخصيات التي ظهرت في الرواية. أثار حب معرفة المزيد لدى نضال في أثناء الثورة وذكرها بربيع الذي أحبته، ولكنه غاب عنها وانقطعت أخباره. وكذلك رغبة وداد في القائد عبدالقادر الحسيني في المستشفى، وعانت كثير من هذا الحب الصامت. فإنّ الكاتبة في الرواية وحّدت بين طرفي الثنائية، وجعلت الشخص المحب ثائراً، وتكون قد أبدعت دلالة مبتكرة عكست بصدق الحالة النفسية وبصدق معاناة الشخصية واضطرابها النفسي، وتُعدّ ترجمة لنفسية الكاتبة ومكنوناتها الداخلية.

٣-٢-٢.الواقع والمتخيل

تمثل الثنائية المتنازعة بين الواقع والمتخيل، العنصر الأساسي في رواية «حبّي الأوّل»، وإنّ هذه الثنائية تعبّر عن الواقع الاجتماعي الذي كان تعيشه الكاتبة. إنّ الرواية هي في أحسن حالاتها نصف الحقيقة، وبما أنها تحاول الإيهام بحقيقة كاملة، فإنها تعتمد كلياً على الإبقاء على صفقة التظاهر بين الكاتب والقارئ (مندولاو، ١٩٩٧م: ٥٣).

قد اتسمت الرواية على الملامح الثنائية بين الواقع والمتخيل قي زمن، ومكان، وشخصيات. أحداث الرواية تدور من خلال الزمن الواقعي والزمن المتخيل؛ الزمن الواقعي يروي أحداثا واقعية جرت في فترة زمنية كما نشاهده في الرواية: «وصلنا الشام عند المغرب يوم 3 نيسان، أي قبل النكبة بأيام فقط». (الخليفة، ٢٠١٠م: ٤٦)، الأحداث تركز

على التفاصيل الجزئية والدقيقة في المشهد السردي، علماً بأنّها تنكشف ذكر تاريخ بعينه، وإنّ الكاتبة تعالج سلوك الناس الذين يتصرفون ويشعرون ويفكرون في الزمن، ويخضعون لجميع تقلباته وتنوعاته وتغيراته. والزمن المتخيل يروي أحداثا في المستقيل، نحو : «غريب كيف نتمسح ونتبدد حين نكبر ويصغر العمر. نفقد إحساسنا بالرقة والرهافة وحنين القلب. نصبح كدجاج فقد ريشه بعد أن كنا عصافير ملونة نقفز في الشمس ونلهو مع الريح» (السابق: ٩٣). وهذا بمثابة تمهيد لأحداث لاحقة تجري فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حادث ما.

الأماكن التي تجلت في الرواية تنوعت بين ما كان واقعياً ومتخيلاً، و الكاتبة عند استعمالها لأماكن واقعية هي تخلق بذلك أماكن متخيلة؛ المكان الواقعي يبرز في الرواية : «بلد الثوار. اقتحمها انكليز عدة مرات، لكن الثوار في كل مكان. كذلك تمر بنا روبين وبلعا وطولكرم وذنابة. وادي البادان والفارعة وجبل الطور. تحضر هذه الأمكنة بنباتاتها وبزروع أرض فلسطين من رجل الحمامة وقرصعنة وفجيلة وشومر» (السابق: ٨٥) المكان المتخيل ليس هو ذاك المكان الواقعي، هو يترك القارئ يسبح في ملكوت العالم الافتراضي بمثل تلك القرية التي تصفها الكاتبة: «فيها تفاح وعنب ورمان ونبع ماء، كنت أراه في ذلك الوقت مثل الشلال. لكن الآن حين زرته بعد كل السنين لم يبق منه إلا البعوض والمحاجر ومستنقع الماء». (السابق: ٩٨)

وفي إطار الحقيقي والمتخيل، كان لا بد من فرز الشخصيات والإحالة إلى شخصيات تاريخية ارتبطت بأحداث واقعية تسجيلية؛ أبو كمال، الحسيني، عبد الرحيم الحاج محمد. فما تطرحه الرواية من نماذج وشخصيات غنية في انتماءاتها الثقافية على مستوى الواقع الحقيقي، وأخرى متخيلة، نحو: «أيقظ الأمير الجميلة النائمة في بيت الزجاج وجعل منها مليكة قلبه وعروس الجن». (السابق: ٢٣) كون المتخيل لا يمكنه أن ينفصل عن الواقع، لأنه مرجع أساس له، وهذه الثنائية رسمت أحداثاً من خلال الشخصية المتخيلة والشخصية الواقعية، وما حملتها من أدوار وأبعاد نفسية واجتماعية وذاتية، فكانت محركا لها.

الرواية بطبعها تستسقي مادتها من الواقع إلى المتخيل ونستنتج أن هناك تداخلاً بين الواقع والمتخيل وتزاوجاً بين العقل والوجدان في هذه الرواية، وأن قدرة التخيل على استرجاع الواقع عند الكاتبة، تجعل التلاحم بين عناصر ذلك الواقع في حياتها والمتخيل ممّا في وجدانها.

٣-٢-٣.الموت والحياة

عاش الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض مرتبطاً ومتاثراً بعامل الموت والحياة. وقد سيطرت الأساطير والروايات مسألة صراع الموت والحياة على عقل الإنسان، ومن هذه الروايات، رواية حبّي الأوّل لسحر خليفة التي تقوم الانفعال المأساوي للنزاع بين الموت والحياة، والانفعال الدراماتيكي الذي خفّف الموت والحياة إلى نزاع بين الهزيمة والانتصار أو بين الفوز والفشل، ويلخّص كل عراك اجتماعي. وهكذا كشفت الرواية، الضوء عليها: «ستي ماتت وأمي اختفت، فألحقني خالي بمدرسة الراهبات حيث عولج في المستوصف. الراهبات اكتشفن موهبتي فدبرن لي بعثة فنية إلى روما، ومن هناك بدأت حياتي كفنانة، وعشت حياتي بالطول والعرض. تزوجت وطلقت ثم تزوجت ثم تمردت ثم أحببت ثم قررت ألا شيء يستحق انشغال القلب إلا فني ورسوماتي». (السابق: ٢١٦)كما اعتقد ارسطو، الشخصية لا تكشف عن نفسها إلّا من خلال حدث أو من خلال استجابتها للحدث (رشدي، ٢٠٠٠م: ٢٠) جرى مسار حياة

النضال في الرواية، يعني بعد أحداث مأساوية ودراماتيكية (موت ستّها، واختفاء أمّها) اكتشفت موهبتها وبدأت حياتها الجديدة.

في الرواية، شاهدت وداد استهتاراً بحقوق الإنسان الفلسطيني على جميع المستويات، وحينما شارفت على الموت لديها الشجاعة والرؤيا الثاقبة والوعي، وتناضل بطريقتها، تجمع المعونات، ترافق الجمعيات وفرق الإسعاف، وهكذا تصف الكاتبة: «لكن هنا، هنا نزيف وجنائز هنا غلاء وبطالة، هنا اختناق وحواجز لكنها ناضلت باجتهاد حتى تخرج من محنتها وتتفوق على ظروفها وأزمتها. وجدت لنفسها طريقاً نجحت فيه وآمنت به». (السابق: ٤٥) وقد خدمت الخليفة في الرواية الأسلوب المنحي الدرامي الذي ينعقد وجهة نظر بين التجربتين، التجربة المعروفة والمرتبطة بشروط زمنية ماضية والتجربة المعاصرة التي استدعت شخصية نضال للتعبير عنها وبأسلوب درامي تنتظم خليفة رؤيتها الفكرية في الرواية . فإن كانت الأحداث مأساوية انتهت بموت القائد البطل، واستشهاد وحيد في مذبحة دير ياسين، وموت الجدة، إلا أن الرواية تنتهي بما آمن به القائد الحسيني، وعبر عنه بسؤال أمين في الرواية: «وأضاف وجهه لصق الزجاج أهناك حياة بلا موت؟». (السابق:٣٠٧) فالقارئ يحس أن الكاتبة تحاول أن تقدم معنى للحياة بمواجهة الموت الذي حدث بيولوجي حتمي لا يمكن تقديمه أو تأخيره ولا يمكن تجنبه، وتظهر جدلية الموت والحياة في الرواية من خلال روح المقاومة في الابطال التي تقاوم الحياة وتحدّي الصعاب، ورغم شقاوة حياتهم إلّا أنّهم مثقفون.

قد استفادت الكاتبة من التوتر القائم في حياتها، وتاريخ شعبها لتعمق المأساة في الرواية، وأن مسألة الموت والحياة قد أثارت اهتمام هذه الأديبة بوصفها فكرة وجودية، ونتيجة النكبات والظروف السياسية التي عاينت بنفسها، وتعيشها، وتسير معها للتخلّص منها. وكان الموت لدي الكاتبة، موازياً للنفي والغربة والسجن وغيرها من الواقع الظلام للشعب الفلسطيني حينما كانت الحياة تعني الحب والمقاومة والوطن والأرض والاستشهاد حتى لوكان قبراً في أرض فلسطين يخلّد للفلسطيني سيرته العظيمة.

٣-٢-٤.التصفية

التصفية هي راسخة في النفسية البشرية و هي مازوخية (عند تصفية الأنا)، وسادّية (عند تصفية الآخر) وقد تكون الاثنين معاً. يتوقع الراوي أن يذوب الثنائية، ويزول الشقاق بين الكائنات بفضل تصفية نهائية، سواء أكان مبرّرها أخلاقياً أم اجتماعياً أم دينياً أم إيديولوجياً وتشكل هذه التصفية التي تطال بطلاً واحداً أو عدّة أبطال. (تميم، ٢٠٠٣م: ٨٧).

كانت سحر خليفة تأملت في مستقبل زاهر لفلسطين في نهاية كلّ حلقة من الرواية، على سبيل مثال، تنتهي الجزء الثاني: «علينا أن نبيع ملابسنا في سبيل سلاح، وكلّ فلسطيني على وجه الأرض، عليه أن يساهم ويدلي بدلوه حتى لانضعف ونفك الحصار». (خليفة، ٢٠١٠م: ٨١) أشارت إلى ومضة أمل وإشراقة مستقبل مرجو وفرحة قد تكون من نصيب الشعب الذي صبر. فقد أنهت الرواية بمشهد: «دخل ربيع ومعه "سَيل عرمرَم من الزوّار، كبار وصغار، نساء ورجال، وأطفال رضّع وحوامل وبكت نضال من الفرحة والتأثّر ولم تُعدّ. كانوا اكثر من أيّ عدد». (السابق: ٣٩١) يعني كلّ من يدافع عن الفلسطين يرحب به ويحترمه الشعب، وكانت تعلم أن سرّ الانتصار هو المقاومة وعدم الخوف. وبهذه النهاية تقول سحر خليفة: « ليَقْتُلوا ويُشَرّدوا ويَعتقلوا، فشعبُنا باق، وحلمُه لا يخبو. وليذهبْ كلّ الخَوَنة

والعُملاء والسماسرة الذين ضيّعوا الوطن، وسبّبوا في تشريد الشعب إلى الجحيم». (السابق: ٣٩٥) الكاتبة في تصفيتها الحساب تقول: إفعلوا ما تشاؤون من القتل والتشريد، فأمّا يجب أن يترك الخونة والمرتزقة الذين تسببوا لهذه النكبات من البلاد. هذه الأرض مقدسة وليس ملجأ للخائنين.

ولقد حقّقت سحر خليفة في روايتها هذه ما أرادت تحقيقه بكشف كل أسرار الجريمة التي كان ضحيتها شعبها الفلسطيني بضياع الوطن وتشريد الشعب. أتقنت سحر خليفة في روايتها تصوير حركية المجتمع الفلسطيني في تناقضاته المتعددة وحاولت أن تنتقل الواقع إلى التمثيل دون أن تتفقد الواقعية، ودون أن تتفقد جمإلية السرد التي تجعل الواقعي أكثر خيالية من الخيال في ظلّ ظروف الاحتلال.

النتائج

يشكل مفهوم الثنائيات المتضادة والمتنازعة عصب المدرسة البنائية في التحليل النفساني وينحدر هذا المفهوم بوصفه مفهوماً نفسانياً من دراسات ليفي شتراوس حول الروايات، وفي رواية حبّي الأوّل تجتمع هذه الثنائيات في نفس الشعب الفلسطيني عامّة، وفي الشخصيات والابطال خاصة. يمكن عدّها كامنة في أغوار النفوس، ، وسار طرفاها جنباً إلى جنب معاً؛ يعني تعددية ضمن الوحدة، ويكون الصراع بين الطرفين شكلياً يهدف على المستوى العميق إلى التكامل، وحللت هذه الرواية تحليلاً للمضمون كاملاً نفسياً، وبفضل هذا النوع من التحليل يعي الفلسطيني انفعالاته الشخصية وعياً متزايداً ويتمكن من الافلات بسهولة من ضغوطات الارتكاسات العاطفية والوجدانية المقيده.

تتضمن فكرة الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس نظاماً معيناً، وتُعدّ هذه الدلالة الثنائية في أعين الروائيين عامة، وفي عيني سحرخليفة خاصة، والتي تصورتها في الرواية «حبّي الأوّل» داخل نفس الفلسطيني يلتقي طرفاها، وانشغل بها فكره عبر الحوادث، والتشريد، والانتفاضة، والمقاومة. والظاهر أن هذه الثنائية لا تملأ كلّ لحظات الرواية بل يكون تناوباً لأوقات الاتساع، ولأوقات الانحسار، وتوجد تقلّبات المأساوية، والداراماتيكية من الاختزالات الصاعدة والهابطة. لقد حطمت قلب الرواية التقليدية، فاتسمت شخصياتها بأنها نماذج فنية رامزة ودالة على ما في حياة الفلسطينين من شرائح اجتماعية واتجاهات فكرية.

المفاهيم المنعكسة في رواية «حبّي الأول» من الثنائيات المتضادة عند ليفي شتراوس، هي امرأة اليوم وامرأة الأمس من حيث حياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية. المقاتلون والسياسيون يعني الذين يدافعون عن الوطن ويفدون أنفسهم، والذين باعوا قضية الفلسطين وكانوا سبب قتل المجاهدين. خونة والمواولون، الشخصيات التي كانت في قلوبهم المؤمرات والشخصيات التي في نفوسهم روح المقاومة وبذر الأمل. شرق وغرب وتصادم بين ثقافتين مختلفتين وظهور نظرات مختلفة بهما. الفلسطين والإسرائيل يعني سياسات الفصل والعزل والترحيل والتشريد والقتل وغيرها مما تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وسياسات المقاومة والأمل مما يستعمله الفلسطينيون ضد قوات الاحتلال. المفاهيم المنعكسة في الرواية، من الثنائيات المتنازعة عند ليفي شتراوس، هي الحب والثورة كأنّهما وجهان لعملة واحدة وبعض الشخصيات في الرواية يتماشي مع فكرة الحب بينما ينحاز الثورة. الواقع والمتخيل، يعني أدمجت الرواية الأبعاد الحقيقية للأحداث بالأبعاد المخيلة. ثنائية الموت والحياة التي تعكس بين هذين قدرين، الموت تمثل النفي من الوطن والظلم للشعب فأمّا الحياة فتمثّلت الاستمرار للمقاومة .

وفي النهاية يمكن أن نستنتج أن مفهوم الثنائيات في رواية حبّي الأوّل، اجتماع الأمر وضدّه في مقام واحد، وتكون العلاقة بين طرفين، علاقة توازٍ تهدف إلى التكامل.

الهوامش

١ . كلود ليفي شتراوس يعدّ أحد كبار علماء الأنثروبولوجيا، بلجيكي المولد، فرنسي الأصل والجنسية. درس علم الاجتماع في الجامعة البرازيلية بساو باول. فلقب بعميد البنائيين، أو شيخ البنيويين، أو البنيوي الأول، أو رائد البنيوية المعاصرة، أو أكبر مهندسي الفكر في العصر الحديث . (يتيم، ٢٠١٦م: ٧٩)

٢. من أهم الروائيين الفلسطينيين. ولدت في نابلس عام ١٩٤١. تزوجت في سن مبكرة زواجا تقليدياً؛ وبعد مرور ثلاثة عشر عاما من الإحباط وخيبة الأمل، قررت أن تتحرر من هذا الزواج وتكرس حياتها للكتابة. (درّاج، ٢٠٠٤م: ١٦٠- ١٦٥) وقد عادت لتواصل دراستها الجامعية، وحصلت على شهادة الدكتوراة من جامعة أيوا في دراسات المرأة والأدب الأمريكي. أسلوبها في الكتابة يتسم بالشفافية والعمق والبساطة. وشخصياتها وأجواؤها تنبض بالحياة والحركة. عملت في مجال حقوق المرأة لآكثر من ٣٠ سنة. (زيدان،١٩٩٩م: ٢٣٦) في عملها الروائي تعبر سحر خليفة عن إيمانها العميق بأن وعي المرأة النسوي هو جزء لا يتجزأ من وعيها السياسي أسلوبها الروائي حساس ومقتصد وشفاف؛ من رواياتها: لم نعد جواري لكم (١٩٧٤م)، الصبار (١٩٧٦م)، عباد الشمس(١٩٨٠م)، مذكرات إمرأة غير واقعية(١٩٨٦م)، باب الساحة (١٩٩٠م)،الميراث (٢٠٠٢م)، صورة وأيقونة وعهد قديم(٢٠٠٢م)، ربيع حار(٢٠٠٤م)، اصل و فصل (٢٠٠٩م)، حبي الأول (٢٠١٠م)، أرض وسماء(٢٠١٣م). (القاسم، ٢٠٠٣م: ٨٧)

المصادر و المراجع

المصادر العربية

-أشــكوري، عدنان (٢٠١٥م). **«ملامح الاغتراب في شــعر أحمد الصافي النجفي»**؛ مجلة اللغة العربية وآدابها. السنة ١٠ ،العدد٤، صص ٥٣٣-٥٦٣.

-بارت، رولان (٢٠٠٢م). **مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص (ترجمه: منذر عياشي)** ؛حلب: مركز الإنماء الحضاري.

-تميم، على(٢٠٠٣م). **السرد الظاهر والظاهرة الدرامية، دراسات في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم؛** بيروت: الدار البيضاء.

-جمشيدي، فاطمه والآخرون (١٣٩٦ش). **«ملامح الإغتراب في شعر على فودة وردود فعله عليها»**؛ كرج: مجلة إضاءات نقدية، سنة٧، خريف، العدد٢٧، صص٩٨-٧١.

- حني، عبداللطيف (٢٠٠٩م). **الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية؛** الجزائر: وادسوف.

- خليفة، سحر(٢٠١٠م).**حبّي الأول؛** بيروت: دار الآداب.

- درّاج، فيصل (٢٠٠٤م). **أفق التحولات في الرواية العربية؛** بيروت: المركز الثقافي العربي.

-....،....(٢٠٠٢م). **ذاكرة المغلوبين: الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني؛** بيروت: المركز الثقافي العربي.

- الديوب، سمير(٢٠١٢م). **«مصطلح الثنائيات الضدية»**؛ الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد٤١، العدد١، صص٨٥-١٢٠.

- رزان محمود، إبراهيم (٢٠١٢م). «**حبّي الأوّل: الواقعي والمتخيل في الزمن الروائي**»؛ الأردن: المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، صص ٩١-١٢٠.

- رشدي، رشاد (٢٠٠٠م). **نظرية دراما من أرسطو حتى الان؛** القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

- زيدان، جوزيف (١٩٩٩م). **مصادر الأدب النسائي العالم العربي في الحديث؛** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- ستروك، جون (١٩٩٠م). **البنيوية و ما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا (ترجمة: محمد عصفور)؛** كويت، آداب المعرفة.

- الصرايرة، عامر جميل (٢٠١٣م). «**جدلية العلاقة بين الشرق و الغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة**»؛ الأردن: جامعة موتة، رسالة في اللغة العربية.

- عباس، فيصل (١٩٩١م). **التحليل النفسي وقضايا الانسان والحضارة؛** بيروت: دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر.

-عبدالمطلب، محمد (٢٠٢م)، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة؛** إربد، منشورات عالم الكتب.

- القاسم، نبيه (٢٠٠٣م). **رؤية لسحر خليفة التي تجاهلها النقاد؛** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- مندلاو (١٩٩٧م)، **الزمن والرواية (ترجمة بكر عباس)؛** بيروت: دار صادر.

-ميشال شريم، جوزيف (١٩٨٧م). **دليل الدّراسات الأسلوبية؛** بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

-يتيم، عبد الله عبد الرحمن (٢٠١٦م).**كلود ليفي ستروس: قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر؛** دمشق: دار نينوى.

المصادر الفارسية

- حسيني، روح الله و اسدالله محمّد زاده (١٣٨٥ش). «*بررسی ساختار تقابل رستم واسفندیار در شاهنامه بر اساس تقابل لوی استراوس*»، تهران، پژوهش ادبیات معاصر جهان، شماره ٣١. صص٤٣-٦١.

- چهار محالی، محمد (١٣٩٨ش). «*تحلیل تقابل دوگانه در داستان جمشید بر پایه نظریه لوی استراوس*»، تهران: متن شناسی ادب فارسی، شماره٤١، صص١٤-٣٥.

- ذبیحی، رحمان (١٣٩٦ش). «*تحلیل ساختاری گیومرد براساس نظریه لوی استراوس*»، تهران: پژوهش زبان وادبیات فارسی، شماره٤٧، صص٢٧-٥٠.

-رنجبرپور، زهره وهمکاران (١٣٩٥ش). «*نمادگرایی در دو رمان جزیره سرگردانی و حبی الاوّل*»، جیرفت: مطالعات ادبیات تطبیقی، شماره ٣٩، صص٨٣-١٠٦.

- طاهری نیا، علی باقر و روح الله مهدیان (١٣٩٢ش). «*دوگانگی و تقابل در رمان های سحر خلیفه*»، کرمان: دانشگاه باهنر، نشریه ادبیات پایداری، شماره ٨، صص ١٢١-١٥٢.

Reference

-Abbas, Faisal (1991). Psychoanalysis and human and civilization issues; Beirut: Lebanese Thought House for Printing and Publishing.
- --Abdul Muttalib, Muhammad (2002), Building Style in Modernist Poetry; Irbid, Book W-Aldioub, Samir (2012). the term "opposite binaries"; Kuwait, World of Thought Magazine, Volume 41, Issue 1, pp. 85-120
-Alqasim, Nabih (2003). A vision of Sahar Khalifa that critics ignored; Beirut: Institute for Palestine Studies.
-Alsarayra, Amer Jamil (2013). "The dialectic of the relationship between East and West in selected models of the contemporary Arab novel"; Jordan: Mutah University, a message in the Arabic language.
--Ashkouri, Adnan (2015). "Features of Alienation in the Poetry of Ahmad Al-Safi Al-Najafi"; Journal of Arabic Language and Literature. Year 10, Issue 4, pp. 533-563..
-Bart, Roland (2002). Introduction to the structural analysis of stories (translated by: Munther Ayachi); Aleppo: Center for Civilization Development.
-Chahar Mahali, Muhammad (2018). "Analysis of Dogana der Dastan Jamshid pr Bayah Louis Strauss Theory", Tehran: Matn Shanasi Persian literature, Shamara 41, pp. 14-35
-Darrag, Faisal (2004). The horizon of transformations in the Arab novel; Beirut: Arab Cultural Center.
---(2002) Memory of the Overwhelmed: Defeat and Zionism in Palestinian Cultural Discourse; Beirut: Arab Cultural Center.
-Heni, Abdul Latif (2009). The Algerian novel between crisis and effectiveness; Algeria: Wadsoff...
-Hosseini, Ruhollah and Asadullah Muhammad Zadeh (2006). "Parsi Sakhtar meets Rostam and Esfandiar der Shahnameh Berasas meets Louis Strauss, Tehran, Pgohish Contemporary literature of Jahan, Shamara 31. pp. 43-61-
-Jamshidi, Fatima and the others (2017). "Features of Alienation in Ali Fouda's Poetry and His Reaction to It"; Karaj: Critical Illuminations Magazine, Year 7, Autumn, Issue 27, pp. 98-71.
- Khalifa, Sahar (2010). My first love; Beirut: House of Arts.
-Michel Shrem, Joseph (1987). Handbook of stylistic studies; Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
Mindlaw (1997), Time and Novel (translated by Bakr Abbas); Beirut: Dar Sader.-
- Rangbarpur, Zahra and Hamkaran (2016). "Nadagriyi der de Rumman, the island of Sargardani and my first love", Gervett: Applied Literary Readings, Shamara 39, pp. 83-106

-Razan Mahmoud, Ibrahim (2012). “My First Love: Real and Imaginary in the Novelistic Time”; Jordan: The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature, pp. 91-120.
- Rushdie, Rashad (2000). Drama theory from Aristotle until now; Cairo, Anglo-Egyptian Library.
-Struck, John (1990). Structuralism and its aftermath from Lévi-Strauss to Derrida (translation: Muhammad Asfour); Kuwait, Etiquette of Knowledge.
- Tamim, Ali (2003). The apparent narrative and the dramatic phenomenon, studies in the dramatic manifestations of the ancient Arab narrative; Beirut: Casablanca.
- Taheri Nia, Ali Baqer and Ruhollah Mahdian (2013). “Dogangi and Takab Dor Rumman Hai Sahar Khalifa”, Kerman: Daneshgah Bahner, Baidari Literary Publishing, Shamara 8, pp. 121-152.
- Yateem, Abdullah Abdul Rahman (2016). Claude Lévi-Strauss: A Reading of Contemporary Anthropological Thought.
- Zabihi, Rahman (2017). "Sakhtari Guymard Brass' Analysis of Louis Strauss Theory", Tehran: Phosh Zaban and Persian Literature, Shamara 47, pp. 27-50.
-Zidane, Joseph (1999). Sources of Women's Literature in the Arab World in Hadith; Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

فصلنامه علمی لسان مبین
(پژوهش زبان و ادب عربی)
شاپای چاپی : ۲۳۵۵-۸۰۰۲
شاپای الکترونیکی : ۳۵۱۶-۲۶۷۶

تحلیل روان شناختی رمان «حبی الاوّل» سحرخلیفه بر اساس نظریه دوگانگی های متضاد ومتقابل لوی اشتراوس*

عیسی زارع درنیانی [۱*]

[۱*]استادیار زبان و ادبیات عربی، ایران، دانشگاه پیام نور.

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
مقاله پژوهشی

دریافت:
۱۳۹۹/۰۹/۲۲

پذیرش:
۱۴۰۰/۰۵/۰۲

چکیده

رمان ها جنبه های مهمی از رویکردهای روان شناختی را تشکیل می دهند از میان رمان ها، رمان «حبّی الأوّل» سحر خلیفه، رمان نویس فلسطینی را می توان نام برد که سرشار از ابداعات وخلاقیت های هنری است و حالت های روان شناختی پیچیده شخصیت خالق وگیرنده در آن برجستگی دارد برای تحلیل اینگونه رمان ها باید به تحلیل روان شناختی متن متوسل شد. از میان تحلیل ها، تحلیل روان شناختی نظریه دوگانگی های متضاد ومتقابل لوی اشتراوس حائز اهمیت است که از تناقض های متن بهره می جوید وفکر وعاطفه را به هم پیوند می زند. از اینرو، در این جستار، رمان « حبّی الاوّل» سحر خلیفه با روش توصیفی- تحلیلی با الهام از نظریه دوگانگی ساختاری لوی اشتراوس، بررسی شد ویافته های پژوهش، حاکی از این است که همه جنبه های زندگی در رمان، نتیجه تناقض ها و تقابل ها است که از آگاهی مطلق، وقطعی ناشی می شود و شیوه زندگی جامعه فلسطینی در آن زمان را تحت تأثیر قرار می دهد و نگرش های روان شناختی و اجتماعی را گسترش می دهد. رمان « حبّی الاول» سحر خلیفه، تناقض ها (زن مدرن وزن سنتی، مبارزان وسیاستمداران، خیانتکاران وفاداران، شرق وغرب، فلسطین و اسرائیل) و تقابل ها (عشق وانقلاب، واقعیت وخیال، مرگ وزندگی) روانکارانه که مکمل یکدیگرند را از طریق برخی رویدادهای فلسطین انتقال می دهد.

کلمات کلیدی: تحلیل روان شناختی، نظریه لوی اشتراوس، سحرخلیفه، رمان حبّی الأول

استناد: زارع درنیانی، عیسی (۱۴۰۱). تحلیل روان شناختی رمان «حبی الاوّل» سحرخلیفه بر اساس نظریه دوگانگی های متضاد ومتقابل لوی اشتراوس، ، سال سیزدهم ، دوره جدید، شماره ۴۷ ، بهار ۱۴۰۱:۶۲-۴۵.

DOI: 10.30479/lm.2021.14719.3165

ناشر: دانشگاه بین المللی امام خمینی(ره)

حق‌مؤلف © نویسندگان.

* - پست الکترونیکی نویسنده مسئول : *zare.dornian@pnu.ac.ir*